عولمة الدين وازدياد حركات التشكيك فيه

أوس عز الدين عباس

| ٢ - ٢ |

وقد ترتب على هذه النظرة إلى الدين كعنصر أساسي وفطري في التكوين البشري، ظهور حركة متنامية الآن ضد العلماء والمفكرين العلمانيين الذين يوصفون في بعض الكتابات بالعلماء ((الملحدين))، من أمثال ((ريتشارد دوكينز)) و((دانييل دينت)) و((كريستوفر هيتشنز))، والذين يعتبرون بأن الدين مجرد ((وهم سيئ وضار))، ويرتكز ذلك الهجوم على إن النزوع إلى الدين يساعد على تنظيم الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية وتماسك المجتمع والانتماء إلى رابطة أعلى وأسمى من العلاقة بين الأفراد وأكثر تجريدا من التنظيمات الدنيوية والتي يتولى الإنسان صنعها وصياغتها لخدمة أغراضه المحسوسة الجزئية،

ومن هنا كانت تلك الصحوة الدينية التي نشاهدها الآن، والتي يمكن رصدها بسهولة حتى في أشد المجتمعات تمسكا بالعلمانية، وبدلا من الحديث الذي كان يسيطر على جانب كبير من الأوساط الثقافية والفكرية في العالم عن ضرورة تحديث الدين بدأت تظهر دعوة قوية إلى ((تدين الحداثة)).

وتعتمد حركة العودة إلى الدين على أساليب وطرق متطورة وحديثة لنشر دعوتها على أوسع نطاق،مثل الالتجاء إلى البرامج الدينية التي تبثها كثير من القنوات التلفزيونية والإذاعات، وحتى في دول الغرب،وإنشاء الصحف والمجلات والدوريات الدينية المتخصصة، وكذلك الإقبال الشديد على إنشاء كليات جامعية ذات طابع ديني،كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص،واستخدام الإنترنيت،وقيام أحزاب سياسية ذات توجهات دينية،فضلا عن الجماعات الدينية الأهلية الكثيرة،وقد ترتب على ذلك الآن إنه ظهر على السطح تعبير قد يحتمل أكثر من تأويل،وهو ((مقاولو الدين))،ويقصد به رجال الدين والدعاة المحترفون،وقد صاغ هذا التعبير عالم الاجتماع والاقتصاد ((بيتر دروكز)) للإشارة إلى رجال الدين الذين يسلكون في نشر الدعوة أسلوبا دعائيا يشبه الأساليب والطرق التي يلجأ إليها رجال الأعمال لتسويق بضاعتهم،مما قد يؤدي إلى نتائج عكسية،فقد أصبح هناك ما يشبه التنافس على جذب الزبائن والعملاء،وهو ما يؤدي في كثير من الأحوال إلى التنازع والصراع بين مختلف المذاهب الدينية بدلا من التعاون لنشر رسالة الدين السامية المجردة .

وعلى أي حال،فقد بدأ كثير من العلمانيين يراجعون في السنوات الأخيرة مواقفهم من الدين ودوره في الحياة، وإن يكن هناك في الوقت ذاته كثير من التعصب الناجم عن الرغبة في المحافظة على الهوية الاجتماعية والثقافية والتي يمثل الدين جزءا جوهريا فيها،وهذا في حد ذاته دليل على الاعتراف العام والقوي بأهمية الدين،بالرغم من دعاوى العلمنة والاتجاهات الفكرية والوضعية لها،إلا إن السؤال الذي تثيره بعض الكتابات الأخيرة حول هذا الموضوع هو: ((هل تغير الصحوة الدينية والإيمانية الراهنة العالم في المستقبل ؟ وما مدى توافق الدين مع متطلبات الحداثة ودعواها ؟)) .

وفي كتاب حديث بعنوان ((هذا إلى الدين))،والذي صدر في ((أبريل ٢٠٠٩))، وله عنوان فرعي آخر هو ((الإحياء العالمي للإيمان يغير العالم))،يذهب المؤلفان ((أدريان ولدريدج)) و((جون مايكل ثويت))،وهما من هيئة تحرير مجلة ((الأيكونوميست)) البريطانية،إلى إن الدين يتلاءم تماما مع التحديث والحداثة وبكل صورها وأشكالها وأبعادها ويستطيع التعايش مع متطلباتها واتجاهاتها الحديثة العديدة والمعقدة،وكان من الطبيعي أن تثير هذه الأحكام القاطعة حفيظة وغضب ومعارضة عدد من الكتاب العقلانيين الذين يرفضون الدين،لأنه يدخل في رأيهم في باب الغيبيات والأوهام ويرتبط بطفولة البشرية،وإنه كلما اقترب المجتمع من الحداثة ضاقت المساحة التي يشغلها الدين كعقيدة وممارسة،ويرفضون شعار: ((إذا أردت أن تكون حديثا فعليك أن تقول وداعا للدين))،ولكن المؤلفين يريان العكس من ذلك،حيث إن الحداثة وازدياد التوجه نحو الدين يسيران جنبا إلى جنب، وليس أدل على ذلك مما يحدث في المجتمع الأمريكي الذي يمثل قمة الحداثة،ولكنه يشهد في الوقت نفسه ازديادا في قوة وفاعلية الدين في الحياة اليومية والسياسية،إلى جانب ظهور عدد كبير جدا من النزعات والاتجاهات والدعاوى والحركات الدينية أو شبه الدينية،والتي تعبر في بعض أبعادها على الأقل عن التمرد على الأوضاع المادية التي تميز الحضارة الغربية الحديثة،وما يحدث في أمريكا له شبيه في مجتمعات جنوب شرق آسيا بدياناتها غير السماوية،والتي ترتكز على أية حال على مبادئ أخلاقية صارمة.

وترتبط هذه المشكلة بقضية العلاقة بين الدين والعلم في ضوء التغيرات والكشوف العلمية الحديثة في ميادين البيولوجيا والبحوث الأنثروبولوجية عن الدين وفي مختلف الثقافات والاكتشافات الأركيولوجية التي قد تلقي ظلالا من الشك على بعض المعتقدات الدينية،ولكن النظرة الآن إلى العلاقة بينهما تميل إلى اعتبارهما طريقتين مختلفتين ولكنهما متكاملتان في النظر إلى الأشياء،وإن الأمر يتعلق في المحل الأول بما يحب الإنسان أن يعرفه ونوع التساؤلات التي تصدر عنه،لأن اختلاف الأسئلة هو الذي يؤدي إلى اختلاف المداخل وأساليب ومناهج العلم،وعلى ذلك فإنه من الخطأ النظر إلى الدين والعلم على إنهما متعارضان أو متنافسان لأن الاثنين مطلوبان لمتابعة التساؤلات المختلفة في طبيعتها ونوعيتها،وإنهما يشاركان معا في تحديد المستقبل،بل وقد يمكن أن يقوم بينهما نوع من التعاون في النظر إلى الأشياء والوصول إلى درجة أعمق من الفهم .

وهناك في بعض الجامعات في الخارج من يجمع بين الدراسات اللاهوتية والعلوم البيولوجية،وفي استطلاع أجرته مجلة ((الحداثة)) البريطانية في ((أبريل ٢٠٠٤)) عن موقف الأجيال الحديثة من الدين،تبين إنه مع ازدياد التوجه نحو العلمانية هناك ازدياد في الميل نحو الإعلاء من شأن الدين،وهذا ما تؤكده أيضا بعض بحوث الرأي العام في أمريكا ذاتها،والمعروف لدينا أن التعارض بين الاتجاهين ليس جديدا تماما،فقد ارتفعت حدته في عصر التنوير،ولكن يبدو إن المخاطر التي نجمت عن ذلك الفصل القاطع تدفع الآن إلى التفكير في إمكان مد الجسور بين الاثنين من جديد .

وقد تكون هناك أرضية واسعة ومشتركة بين جميع الأديان والعقائد،كأنساق من القيم والمبادئ السامية التي تحرص على الإعلاء من شأن الإنسان بوجه عام،ولكن ذلك لا يعني بالضرورة إمكان قيام دين واحد وموحد على مستوى كوكب الأرض على ما يتوقع بعض المستقبليين حدوثه بعد خمسين سنة من الآن،معتمدين في ذلك على الجهود التي تبذل من أجل التقريب بين الثقافات المختلفة،وإرساء قواعد التفاهم والتسامح والقضاء على النعرات الدينية المتطرفة،فقيام دين واحد لكافة البشر معناه القضاء على الهويات الخاصة بالشعوب،وهو أمر شديد الصعوبة، وهناك بالمثل شكوك عميقة حول إمكان قيام دين وضعي يرتكز على العقل والأساليب والمناهج العلمية في البحث،كما يتنبأ بذلك بعض المستقبليين،لأن مثل هذا الدين يتناسى الشعور الفردي لدى الإنسان العادي بالانتماء إلى مجتمع وثقافة، بل وإلى عالم خاص به داخل إطار ثقافة محددة،فضلا عن افتقاده الجوانب الروحية التي توفرها الأديان السماوية المختلفة،ولذلك فإن عبارة ((عولمة الدين)) هي مجرد دعوة مثالية يصعب تحقيقها على أرض الواقع،وإن كان الدين بالمعنى المتعارف عليه سوف يظل عاملا مهما في تشكيل المستقبل،مثلما كان دائما عاملا مهما في تشكيل التاريخ.

الحكومة وصقر إفليح

سليمة قاسم

يحكى أن رجلا اسمه إفليح يسكن في إحدى قرى البادية التي كانت مشهورة بتربية الصقور، وكان رجال العشيرة يتجمعون في بيت شيخهم مساء كل يوم، يتبادلون أطراف الحديث و يتندرون بأحاديثهم عن صقور الصيد التي يمتلكونها ومدى شجاعتها وذكائها ،وما تجلبه لأصحابها من صيد ثمين يستمع إليها افليح صامتا، فهو لا يمتلك صقرا ليشاركهم الحديث.

ظل صاحبنا يحلم باليوم الذي يستطيع فيه أن يشتري صقرا يجلب الرزق له ولعياله، ويستطيع أن يجاري رجال القرية في أحاديثهم عن الصقور التي بالغ الكثير منهم في ما تحمله من صفات.واخذ صاحبنا يجمع الدرهم فوق الدرهم ويمنع عن نفسه الكثير، وتمكن أخيرا من جمع المبلغ اللازم لشراء الصقر وعاد بصحبته الى داره مسرورا، تعجب رجال القرية من أمر صاحبهم، فكان لا ينبس ببنت شفة للحديث عن صقره وكلما توجهوا له بالسؤال يجيبهم ساخرا انه صقر صيد قبل أن يلوذ بصمته مرة أخرى.

وبعد فترة من الزمن ألح رجال القرية على افليح لمعرفة أسباب صمته من جهة والصراخ والعويل الذي يرتفع من بيته كل يوم من جهة ثانية ،وهنا فاض الكيل بصاحبنا ليصرخ بهم قائلا إن الصقر الذي اشتراه لا يصيد حماما ولا دراجا بل يصطاد أفاعي وعقارب يرميها فوق عياله في وسط الدار، وهنا يرتفع صوت صراخهم، تعجب رجال القرية من صقر افليح لما يحمله من صفات شاذة واخذوا يطرحون عليه الحلول ليتخلص منه واتفقت آراؤهم على بيعه ،لكنه أبى أن يبيع غيره شرا مستطيرا.

مرت الأيام وصاحبنا يقتله الندم على ما فعله بحاله وحال عياله ويلعن حظه العاثر الذي يجلب له السوء بدلا من الصيد الوفير، أما سكان القرية فقد رقوا لحاله، ولم يعودوا يسألونه عن مصير صقره ولا صراخ عياله وظل يفكر في حل يستطيع معه أن يتخلص منه هو وعائلته ،فأراد أن يبيعه ،وما أن يعرف المشتري الصفات التي يحملها ذلك الصقر، يلوذ هاربا حتى لو عرضه بربع ثمنه.

وذات يوم اتخذ صاحبنا قراره، ومع حلول الظلام اصطحب صقره ليطلق سراحه، وعاد إلى بيته لينام مطمئنا لأول مرة منذ اقتنى ذلك الصقر الشؤم، وفي الصباح الباكر استيقظ صاحبنا من نومه ليجد الصقر في انتظاره معتليا سطح الدار وهو يحمل صيده المعتاد.

وأنا أستمع لهذه الحكاية رحت أقارن رغما عني وضع الشعب العراقي وحكومته المنتخبة ، فصاحب الصقر هو الشعب الذي أراد أن يحصل على ما يريد عن طريق حكومة منتخبة، كانت هي الصقر بعينه، وبدلا من أن تجلب له حكومته الأمن والأمان جلبت له الموت، فبدأ يرفض ما يفعله الصقر قبل أن يفكر في حل للخلاص منه ، لا نريد لشعبنا أن يكون صاحب الصقر ولا نريد أن يكون الصقر هو الحكومة التي لا نحصل منها سوى الموت والدمار.

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري
ihsanshamran@yahoo.com

الذكرى الثلاثون لاستشهاد شمران الياسري.. (أبوكاطع) شهادات بعد الثلاثين (١)

مرت قبل أيام الذكرى الثلاثون لاستشهاد الروائي والصحفي المرحوم شمران الياسري (أبوكاطع).

وقد تعذر علينا وعلى جامعة واسط إقامة الحفل الذي كان مؤملا إقامته يوم ١٧/آب/٢٠١١ بسبب حادث التفجير الإجرامي الذي تعرضت له مدينة الكوت الحبيبة فعزّ علينا أن نحتفي، وان كان حُزناً، في الوقت الذي امتلأت سوق الكوت بدماء الضحايا.. وكأن قدر العراقيين أن يكون الدم نشيد حياتهم ابتداء من بركة الدم التي غمرت العراق يوم ٨/ شباط الأسود (الرابع عشر من رمضان) ١٩٦٣، حيث كررها المجرمون هذه المرة في مدينة الكوت يوم الرابع عشر من رمضان المنصرم..

وسوف ينظم الاحتفال في الأسبوع الحالي بعون الله تعالى.

لقد رفدت تجربة الراحل شمران الياسري الذائقة العراقية بأشياء جديدة في فن المزج بين الصوت العراقي والكلمة الشعبية والتوريات العميقة التي يسميها البعض (الحسجة).. إذ صار بإمكان فلاح عديم التعليم، لم تطأ قدمه أرض المدينة أن يفتن المتعلمين، بل ويجعلهم موضع سخريته وسخرية أقرانه.. ويكفي أن نقرأ ما قاله عشرات النقاد عن هذه المقدرة في الرسم بالكلمات، ونسج المستحيل، لقطع المسافة بين الممكن واللا ممكن في عشرة أسطر.. وبرحيل أبوكاطع المُحزن، فلقد حلّت واحدة من أفدح الفواجع بالثقافة العراقية، والتي بدأت سلسلتها منذ شباط الأسود عام ١٩٦٣. يقول الأستاذ باقر جواد الزجاجي إن الروائي (شمران الياسري) تعرّض لظاهرة التغيير في الريف بعد إقامة الحكم الوطنيٍ في العراق، مُركّزا اهتمامه على البواعث التاريخية لهذا التغيير، مستخدماً الأسلوب التحليلي في تفسير التناقضات والمشكلات اليومية. وقد التقط الأحداث الحية ذات البعد التاريخي، تقوده إلى ذلك رؤيته العميقة لواقعه، والحس الفني الذي فرضته عليه طبيعة المرحلة التي يعيشها وانتماؤه إليها. وساعده ذلك على تحقيق القدر المناسب من التوازن بين الحقائق الموضوعية والحقائق الفنية فيه، وتحديد المهمة الحقيقية للفن.

لقد صوّر الكاتب قضية الأرض، وملكيتها، وأسلوب العمل فيها، ومن ثم طبيعة العلاقة الإنتاجية التي تربط بين وسائل الإنتاج وأدواته، بفهم جديد مغاير. فالأرض في منظور الكاتب، أداة إنتاج (قومية)، وليست ملكا خاصا لشخص أو جماعة معينة من أبناء الأرض، وكذلك وسائل الإنتاج. ومن هنا جاء موقفه من واقع الملكية (الإقطاعية) قبل ثورة تموز ١٩٥٨، إذ اعتُبر الإقطاعي عنصرا مستغلا، سلبهم حقهم الشرعي في التمتع بفائض قيمة عملهم اليومي، بل وتعداه إلى الاستحواذ على الحد الأدنى للأجر الحقيقي، ولهذا فقد جاءت شخصياته الروائية معبرة عن تلك الحقيقة، بوعي تاريخي صادق، استطاع القاص أن يمنحه لإبطاله عن طريق المزاوجة الفنية بين عالم المدينة وعالم القرية، الذي اخذ بالتقارب شيئا فشيئا منذ الثلاثينات من القرن الماضي.

كما رجع إلى بدايات ظهور الإقطاع في قريته، عندما دُعي رئيس عشيرتهم (سعدون بن مهلهل) من قبل الحاكم الانكليزي في بغداد، في ذات الوقت الذي دعي آخرون قبله، وأغرقهم بالهدايا، نظير استجابتهم لمطالب الانكليز بتحويل النظام الإنتاجيٍ في قراهم من (الاقتصاد المغلق) إلى (الاقتصاد النقدي التبادلي)، تحقيقا لسياستهم الاستعمارية المعروفة، عارضين عليهم كل وسائل الإنتاج المتاحة كالمضخات وغيرها.

ويعود (سعدون) حاملاً من الهدايا ما يُبهر العين والعقل، بل حمل معه مفاهيم ورؤى جديدة لعلاقاته الاجتماعية عامة.. فقد آخى الانكليز بينه وبين الشيخ (صلال) الإقطاعي المجاور الذي وقف إلى جانب الانكليز في ثورة العشرين، وقتل الكثيرين من عشيرة سعدون، وجمعهما على هدف واحد هو الامتثال للانكليز نظير تمليكهم الأرض، بعد سلبها من أبناء العشيرة، بأسلوب الاحتيال. غير أن القاص لا يُجرّد قريته من وعيها الطبقي، عندما يدفع بإحدى شخصياته (الأثيرة) عليه وهو الفلاح (حسين)، ذات العمق التراثي الأصيل، إلى التشكيك بتلك الدعوة، وإدانة مراميها، بل إلى تسفيه آراء (سعدون) الجديدة والسخرية من مواقفه المتغيرة بعد عودته من المقابلة.

وللحديث بقية

كاريكاتير

■ عادل صبري

المجتمع المدني وغياب البيئة الثقافية

ميعاد الطائي

لم يكن العراق ساحة مناسبة لعمل منظمات المجتمع المدني الحقيقية قبل ٢٠٠٣ بالرغم من وجود بعض أطرها وأشكالها متمثلة بنقابات وجمعيات شكلية أوجدها النظام الشمولي للترويج لأفكاره وخدمة مصالحه وتوجهاته السياسية التي حكم العراق من خلالها بمركزية وتفرد في السلطة

ولذلك فشلت هذه المنظمات في دعم السلطة ولم تتمكن من مساعدتها على الوقوف بوجه الانهيار الكامل الذي تعرض له النظام ومؤسساته في ٢٠٠٣ ،وذلك لأنها لم تكن حقيقية ولا تمتلك أي عمق مجتمعي ولا ترتكز على دعائم سليمة. وبعد سقوط النظام انطلقت منظمات المجتمع المدني بقوة على الساحة العراقية لنشهد انتقالا من أقصى المركزية إلى أقصى الحرية ما ساهم في بداية غير صحيحة ولا ترتكز على خبرات كافية ،إضافة إلى غياب ثقافة المجتمع المدني الذي ساهم في ولادة غير متكاملة (مشوهة) تسببت في وجود معوقات ومشاكل ما زالت منظمات المجتمع المدني تعانيها لحد اليوم ،ونجد أن المشهد العراقي بحاجة ماسة للوقوف على هذه المعوقات ووضع الحلول المناسبة لها لنتمكن من إقامة مجتمع مدني حقيقي يمكن أن يساعد العراق في تجاوز مرحلة التحول الديمقراطي باتجاه تطبيق المفاهيم الجديدة والتخلص من مفاهيم الدكتاتورية والتفرد بالسلطة وباتجاه تنمية اقتصادية واجتماعية وثقافية.

ومن أهم المشاكل التي تواجهها منظمات المجتمع المدني ضعف اهتمام الدولة بهذه المنظمات وعدم اكتراثها بالنشاطات والأعمال التي تقوم بها، إضافة إلى ضعف الدور الإعلامي في دعمها ،فقلما نجد صفحات وبرامج تخصص لنشاطات المجتمع المدني في ظل حاجة المنظمات الماسة للترويج عن مفاهيمها وتنوير الرأي العام بأهمية دورها في ترسيخ المفاهيم الديمقراطية علاوة على دورها في تقييم ومراقبة الأداء الحكومي، لا سيما أن التجربة حديثة وبحاجة إلى جهد إعلامي كبير .

ومن خلال متابعة الأحداث نجد أن من اخطر المعوقات التي واجهت منظمات المجتمع المدني التهديدات الأمنية التي يواجهها أعضاء المنظمات خلال السنوات الأخيرة حيث ساهمت الفتاوى التكفيرية في الحد من نشاطاتها خاصة في المناطق التي تتواجد فيها الأفكار الإرهابية المعادية للديمقراطية والتي شوهت صورة المنظمات الأهلية والإنسانية لإبعادها عن أداء دورها في المجتمع، ومن هنا يأتي دور الإعلام وكل أركان المجتمع الأخرى في تصحيح هذه الصورة وتوعية المجتمع بأهمية دور هذه المنظمات في مساعدة المجتمع ونشر الثقافة والقيم والأخلاق والفضيلة إضافة إلى القيم الديمقراطية والإنسانية ..

ولابد لنا ونحن نتحدث عن مشاكل منظمات المجتمع المدني من أن نشير إلى نقطة مهمة ،وهي غياب المظلة أو المرجعية التي يجب أن تنضوي تحتها المنظمات العراقية أو العربية على المستوى المحلي أو الإقليمي حيث نشهد عدم وجود نقابة أو اتحاد أو جمعية تعمل المنظمات من خلالها على التعاون والتشاور وتنظيم العمل وتبادل الخبرات والتجارب لضمان النجاح والتطور في العمل ،كما نرى بان العمل الجماعي يساعد على الإبداع والابتكار والتطور لخدمة المجتمع من خلال الاستفادة من خبرات الآخرين .

ومن جانب آخر نجد أن بعض الأحزاب السياسية تعمل على زج منظمات تعمل تحت غطاء وبرامج المجتمع المدني إلا أنها في الحقيقة واجهة لهذه الأحزاب وتمثل مصالحها ،الأمر الذي يشكك في مصادر تمويلها ولا يتناسب مع مبادئ وقيم منظمات المجتمع المدني التي يجب أن تكون بعيدة عن التجاذبات السياسية وصراعاتها. خلاصة القول :إن منظمات المجتمع المدني إذا ما تهيأت لها البيئة المناسبة فإنها يمكن أن تلعب دورا مهما في في عملية البناء الثقافي للمجتمع فضلا عن دورها في إعادة اللحمة الوطنية والمجتمعية والمساهمة في إنجاح المشروع الديمقراطي في البلاد، لذلك علينا توفير البيئة القانونية والتشريعية المناسبة وتطوير الكوادر العاملة فيها من خلال إقامة الدورات والندوات والورش التثقيفية والتوعوية إضافة إلى توفير الدعم المطلوب لتغطية نشاطاتها ، بالمقابل على المنظمات أن تعمل على إصلاح وتطوير آلياتها الديمقراطية وتطوير نظامها الداخلي ليكون أكثر ديمقراطية وشفافية للتخلص من هيمنة بعض القيادات لتتمكن من تحقيق الأهداف التي جاءت من أجلها .